الفكرة جوهرة... رائع

د. محمد أبو الخير

الفكرة جوهرة... رائع

د. محمد أبو الخير

رقم الإيداع: 17517 - 2022
الترقيم الدولي: 978-977-94-2998-4

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من المؤلف.

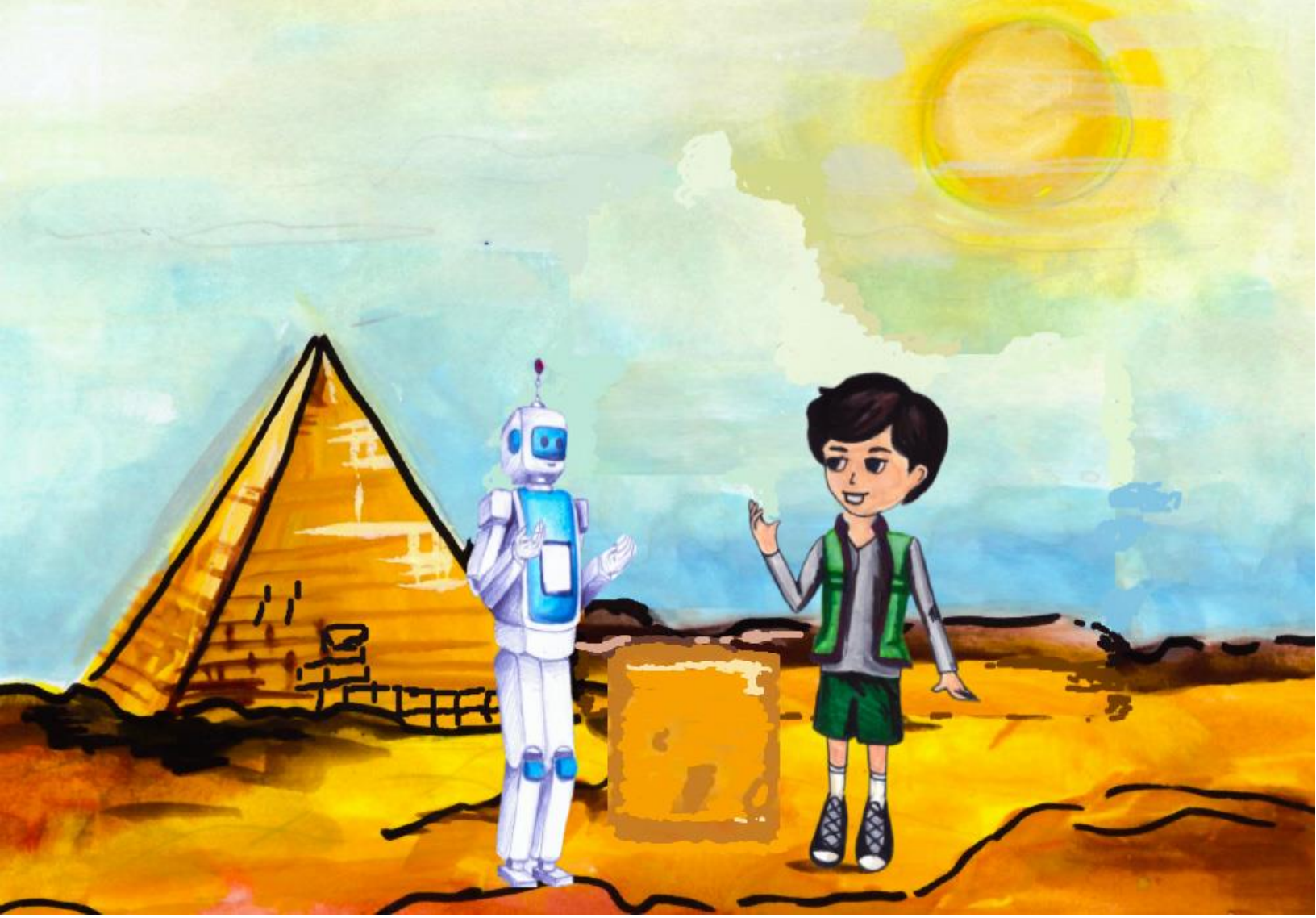

آدَمُ وَرَوْبُو صَدِيقَانِ، يَعِيشُ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي بُرْجٍ فِي شَارِعِ النَّيْلِ بِالْقَاهِرَةِ. ذَهَّبَ رُوبُو وَآدَمُ فِي جَوْلَةٍ سِيَاحِيَّةٍ إِلَى الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ. آدَمُ يُحِبُّ بَلَدَهُ مِصْرَ، وَيَجِبُ أَنْ يَقْرَأَ عَنْ تَارِيخِ الْفَرَاعِنَةِ وَالْحَضَارَةِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ.

وَقَفَ آدَمُ مَبْهُورًا أَمَامَ الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ، وَالَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلْمَعْرَفَةِ وَالتَّقَدُّمِ فِي عُلُومِ الْهَنْدَسَةِ والْعِمَارَةِ.

قَالَ: مَا أَعْظَمَ هَذَا الْبِنَاءَ الضَّخْمَ الَّذِي يَقِفُ شَامِخًا يَتَحَدَّى الزَّمَنَ، كَيْفَ تَمَّ بِنَاءُ الْهَرَمِ؟

قَالَ رُوبُو: حَتَّى الْآنَ لَا أَحَدَ يَعْرِفُ كَيْفَ تَمَّ الْبِنَاءُ؟ إِنَّمَا هُوَ مُكَوَّنٌ مِنْ أَحْجَارٍ عَدَدُهَا 26000000 حَجَرٍ، وَيَزِنُ كُلُّ حَجَرٍ 2.5 طُنٍّ، وَيَبْلُغُ وَزْنُ الْهَرَمِ بِأَكْمَلِهِ 7 مَلَايِينُ طُنٍّ.

قَالَ آدَمُ: هَذَا الْبِنَاءُ الْكَبِيرُ أَصْلُهُ حَجَرٌ، وَفِكَرَةٌ ذَهَبِيَّةٌ فِي عَقْلِ الْمُهَنْدِسِ الَّذِي شَيَّدَهُ.

قَالَ رُوبُو: تَمَامًا يَا آدَمُ، الْأَشْيَاءُ الْكَبِيرَةُ أَصْلُهَا شَيْءٌ صَغِيرٌ.

قَالَ رُوبُو: الشَّجَرَةُ مَثَلًا بِجُذُورِهَا الْمُمْتَدَّةِ فِي التُّرْبَةِ، وَالسَّاقِ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَالْفُرُوعِ الْكَثِيرَةِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْهَوَاءِ، وَكَذَلِكَ الْأَوْرَاقِ وَالثِّمَارِ الْمَوْجُودَةِ عَلَيْهَا، كُلُّهَا أَصْلُهَا بِذْرَةً.

قَالَ آدَمُ: نَعَمْ هَذَا صَحِيحٌ.

قَالَ رُوبُو: بِذْرَةٌ تُوضَعُ فِي الْأَرْضِ الْمُنَاسِبَةِ، ثُمَّ تُسْقَى بِالْمَاءِ، وَنَهْتَمَّ بِرِعَايَتِهَا، بَعْدَ فَتْرَةٍ سَوْفَ تَجِدُ الْبِذْرَةَ الصَّغِيرَةَ تَكْبُرُ وَتُصْبِحَ شَجَرَةً.

قَالَ رُوبُو: وَأَيْضًا الْأَحْلَامُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَخَيَّلَهَا الْإِنْسَانُ، أَصْلُهَا فِكْرَةٌ.

قَالَ آدَمُ: لَقَدْ تَذَكَّرْتُ الْآنَ فِكْرَةَ الطَّيَرَانِ فِي السَّمَاءِ. كَانَ الْإِنْسَانُ يَحْلُمُ بِالطَّيَرَانِ مِثْلَ الطُّيُورِ، وَأَنَّ الْعَالِمَ الْعَرَبِيَّ عَبَّاسَ بْن فرناس هُوَ أَوَّلَ مَنْ حَاوَلَ الطَّيَرَانِ بِتَرْكِيبِ أَجْنِحَةٍ بِذِرَاعَيْهِ، أَشْبَهَ بِالطَّيَرَانِ الشِّرَاعِيِّ.

قَالَ رُوبُو: إِنَّ فِكْرَةَ عَبَّاسُ بْن فرناس سَاعَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّفْكِيرِ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْحُلْمِ، مِمَّا دَفَعَ الأخوان أُورفِيل وويلبُور رَايْت لِعَمَلِ أَوَّلَ نَمُوذَجٍ لِطَائِرَةٍ بِمُحَرِّكٍ عَامِ 1903 تَطِيرُ فِي السَّمَاءِ.

قَالَ آدَمُ: كَانَ تَحْقِيقُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ إِنْجَازًا كَبِيرًا لِلتَّطَوُّرِ فِي حَيَاتِنَا.

قَالَ رُوبُو: ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَطَوَّرَ عَالَمُ الطَّائِرَاتِ وَأَصْبَحَتْ جُزْءاً مِنْ حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي سَفَرِهِمْ سَوَاءً فِي دَاخِلِ أَوْطَانِهِمْ أَوِ الذَّهَابَ إِلَى بُلْدَانٍ مُخْتَلِفَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ يَسْتَخْدِمُونَ الطَّائِرَاتِ.

قَالَ آدَمُ: إِذَنْ إِنَّهَا الْفِكْرَةُ الَّتِي جَعَلَتَنَا نَخْتَرِعُ آلاتٍ جَدِيدَةٍ.

قَالَ رُوبُو: نَعَمْ الْفِكْرَةُ، وَمِنْ جَمَالِ الْفِكْرَةِ أَنَّهَا تُوَلِّدُ فِكْرَةً أُخرَى جَدِيدَةً، لِحُلْمٍ جَدِيدٍ.

قَالَ آدَمُ: مَاذَا تَقْصِدُ بِذَلِكَ؟

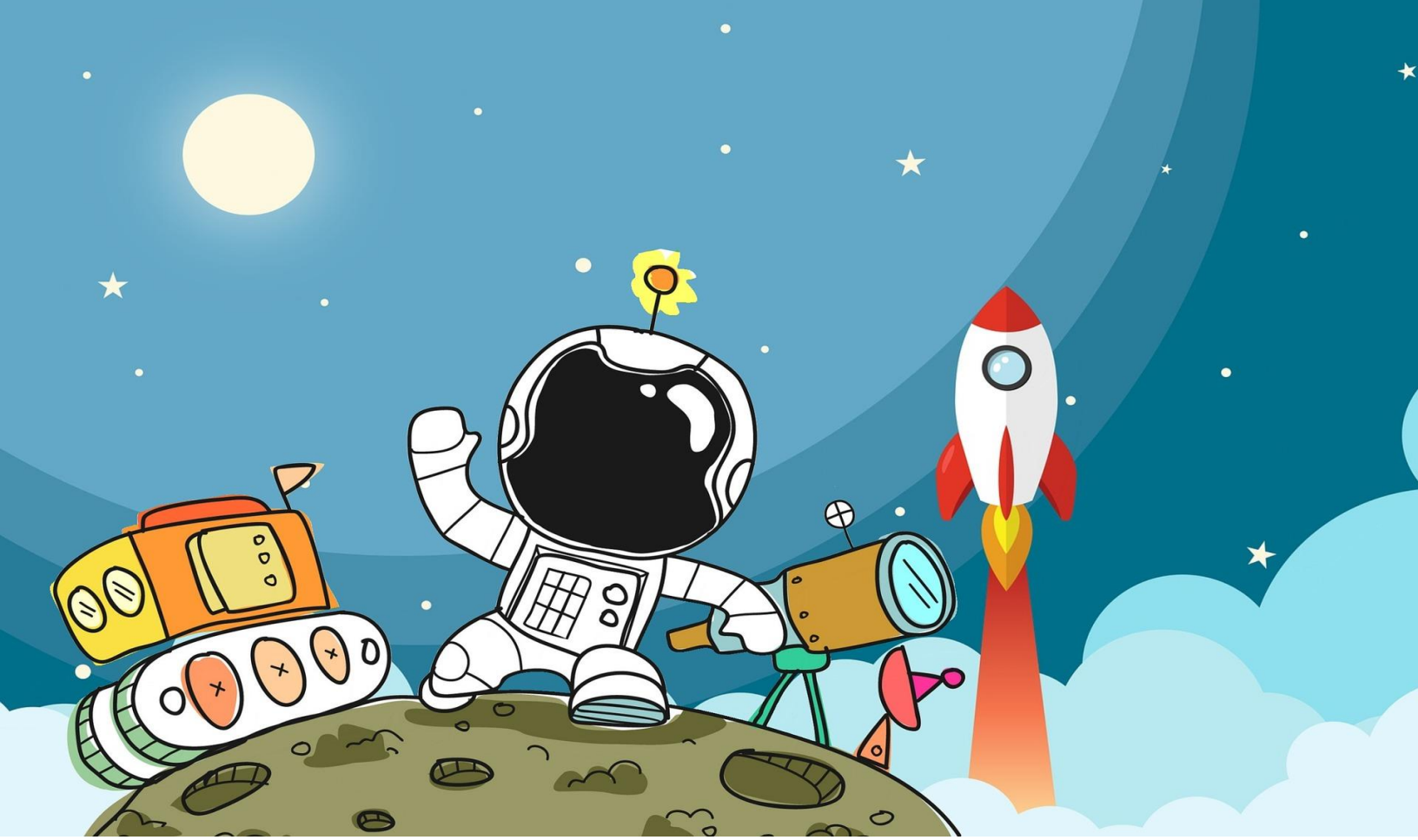

قَالَ رُوبُو: إِنَّ فِكْرَةَ الطَّائِرَةِ جَعِلَتِ الْإِنْسَانَ يَحْلُمُ بِصِنَاعَةِ الصَّوَارِيخِ وَالْمَرْكَبَاتِ الْفَضَائِيَّةِ لِكَيْ يَذْهَبَ خَارِجَ الْغِلَافِ الْجَوِّيِّ لِلْأَرْضِ، وَيُحَاوِلَ اِكْتِشَافَ الْقَمَرِ وَالْمِرِّيخِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ. إِنَّ الْمَرْكَبَاتِ بِهَا أَجْهِزَةٌ لِيَزْرِ لِتَكْسِيرِ الصُّخُورِ، وَبِهَا أَيْضًا كَامِيراتٌ لِلتَّصْوِيرِ وَسَمَاعِ الْأَصْوَاتِ فِي بِيئَةِ الْفَضَاءِ الْخَارِجِيِّ. هَذَا إِنْجَازٌ تَارِيخِيٌّ وَدَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَبِالْطَّبْعِ الرُّوبُوتَاتُ لَهَا نَصِيبٌ كَبِيرٌ فِي هَذَا التَّطَوُّرِ.

قَالَ آدَمُ: طَبْعًا يَا رُوبُو، وَلَكِنْ لِمَاذَا يَذْهَبُ الْإِنْسَانُ إِلَى الْمِرِّيخِ؟

قَالَ رَوْبُو: تَهْبُطُ الْمَرْكَبَةُ عَلَى " الْكَوْكَبِ الْأَحْمَرِ " الْمِرِّيخِ لِلْحُصُولِ عَلَى عَيْنَاتٍ مِنَ التُّرْبَةِ وَالصُّخُورِ، وَالْبَحْثَ عَنِ الْمَاءِ وَالْمَعَادِنِ وَمَوَادِّ عُضْوِيَّةٍ، وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْعَيْنَاتِ يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْرُفَ هَلْ كَانَتْ هُنَاكَ حَيَاةٍ عَلَى كَوْكَبِ الْمِرِّيخِ أَمْ لَا؟ هَذَا سَوْفَ يُفِيدُنَا فِي التَّعَرُّفِ عَلَى مَا حَوْلَنَا، وَمَا هُوَ التَّطَوُّرُ لِفَهْمِ مُسْتَقْبَلِ كَوْكَبِنَا الْأَرْضِ.

قَالَ آدَمُ: تَذَكَّرْتُ الْآنَ أَيْضًا فِكْرَةَ الْمِصْبَاحِ الْكَهْرَبَائِيِّ الَّذِي حَوْلَ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ مِنَ الظَّلَامِ إِلَى النُّورِ. لِقَدَّ اِسْتَطَاعَ تُومَاسُ إديسون (1847– 1931) بِفِكْرَتِهِ الْمُتَمَيِّزَةِ أَنْ يَجْعَلَ مَنْ تَوَهُّجِ الْمِصْبَاحِ الْكَهْرَبَائِيِّ يَدُومُ طويلًا، بَدَلًا مِنْ تَوَهُّجِهِ فَتْرَةً قَصِيرَةً. إِنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ كَانَ لَهَا الْأَثَرَ الْكَبِيرَ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ.

قَالَ رُوبُو: شَكَرَا لِتُومَاسِ إديسون عَلَى قِيَامِهِ بِأَلَافِ الْمُحَاوَلَاتِ فِي مَعْمَلِهِ، غَيْرَ مُتَخَوِّفٍ مِنَ التَّجْرِبَةِ وَالْخَطَأِ، حَتَّى نَجَحَ وَأَنْجَزَ هَذَا الْإِخْتِرَاعَ، وَإِخْتِرَاعَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً مِثْلَ آلَةِ التَّصْوِيرِ السّينَمَائِيِّ.

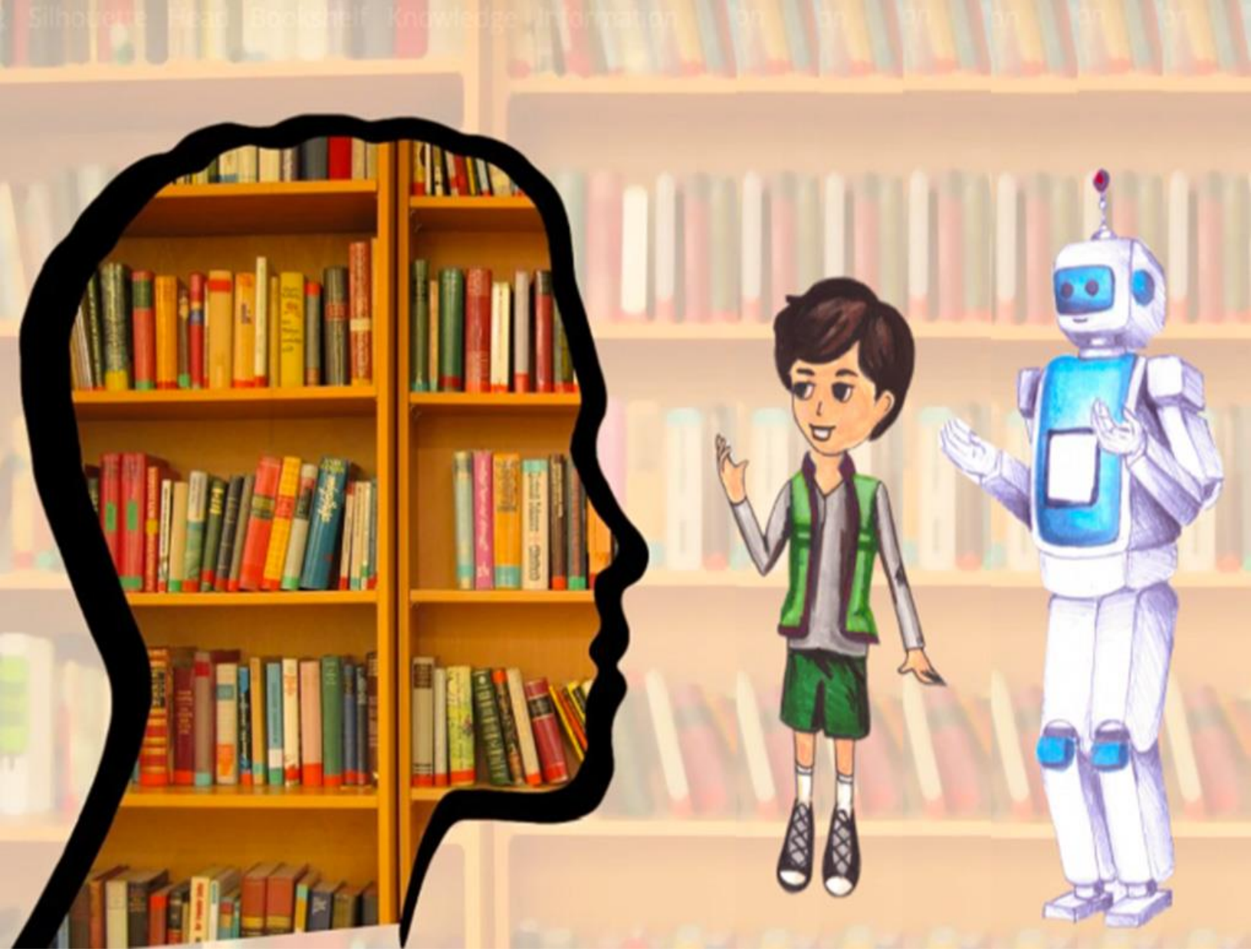

قَالَ رُوبُو: الْكُتُبُ وَالْقَوَامِيسُ وَالْمَوْسُوعَاتُ كُلُّهَا أَصْلُهَا الْحُروفِ الَّتِي تُكَوِّنُ الْكَلِمَاتِ، وَمِنِ الْكَلِمَاتِ تَتَكَوَّنُ الْجُمَلُ ذَاتُ الْمَعْنَى، وَمِنِ الْجَمَلِ تَتَكَوَّنُ هَذِهِ الْكُتُبُ وَالَّتِي تَنْقُلُ لَنَا تَارِيخَ الشُّعُوبِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنَ الماضي إِلَى الْحَاضِرِ، وَهِي بَاقِيَّةً مَعَنَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

قَالَ آدَمُ: لَقَدْ عَبَرَ الْإِنْسَانُ عَنْ أَفْكَارِهِ بِكَلْمَاتٍ بَسيطَةٍ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَفْكَارِ تَكَوَّنَتِ الْقَصَصُ، وَالْقَصَائِدُ الشَّعَرِيَّةُ، وَالنَّظَرِيَّاتُ الْعِلْمِيَّةُ، وَأَفْكَارُ الْخَيَالِ الْعِلْمِيِّ، وَمِنْهَا تَطَوَّرَتِ الْحَيَاةُ بِالْمُخْتَرَعَاتِ بِفَضْلِ حَرْفِ الْكِتَابَةِ.

رُوبُو: أَتَعَرْفْ أَيْنَ نَحْنُ يَا آدَمُ؟

قَالَ آدَمُ: إِنَّنَا فَوْقَ قَنَاةِ السُّوَيْسِ الْجَدِيدَةِ، الْمُوَازِيَةِ لِلْقَنَاةِ الْقَدِيمَةِ بِطُولِ 72 كِيلُوَ مِتْرٍ، وَالَّتِي اِفْتَتَحَهَا الرَّئِيسُ عَبْدَ الْفَتَّاحِ السِّيسِي فِي 6 اغسطس 2015.

قَالَ رُوبُو: أَتَعَرَّفُ أَنَّ هَذِهِ الْقَنَاةَ فَكَرَ فِيهَا فِرْعَوْنَ مِصْرَ سنوسرت الثَّالِثَ حُكْمٌ مِنْ 1878 حَتَّى 1839 ق.م. كَانَ يَحْلُمُ بِشِقِّ قَنَاةٍ تَرْبِطُ الْبَحْرَيْنَ الْأَحْمَرَ وَالْمُتَوَسِّطَ.

وَظَلَّ الْحُلْمُ الْكَبِيرُ حَتَّى قَامَ بِتَنْفِيذِهِ الْمُهَنْدِسِ فرناند ديليسبس وبأيدي وَجُهُودِ الْمِصْرِيِّينَ.

قَالَ آدَمُ: تَمَامٌ وَتَمَّ اِفْتِتَاحُ الْقَنَاةِ فِي عَهْدِ الْخُدَيْوِيِّ إسماعيل عَامَ 1869 بِحُضُورِ الْإِمْبرَاطُورَةِ أوجينى زَوْجَةِ إِمْبرَاطُورِ فَرَنْسَا نَابِلْيُونِ الثَّالِثِ، وَالْأَمِيرِ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجَزَائِرِيِّ، وَالْكَاتِبِ النُّرْوِيجِيَّ هِنْرِيكَ إِبْسن، وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ رُوبُو: قَدْ يَكُونُ الْحُلْمُ قَدِيمَا، وَلَكِنْ بِالْإِرَادَةِ وَالْعَمَلِ تَتَحَقَّقُ الْأَحْلَامُ.

إِنَّ قَنَاةَ السُّوَيْسِ تَصِلُ بَيْنَ قَارَّتِي آسيا وأفريقيا، وَتُعَدُّ مِنْ أَقْصَرِ الطُّرُقِ الْبَحْرِيَّةِ لِتَسْهِيلِ التِّجَارَةِ الْبَحْرِيَّةِ، إِنَّهَا تُسَاهِمُ فِي الْإِقْتِصَادِ الْعَالَمِيِّ.

قَالَ آدَمُ: قَنَاةُ السُّوَيْسِ هِي هَمْزَةٌ لِلْوَصْلِ بَيْنَ الْقَارَّاتِ وَالْحَضَارَاتِ، تُقَدِّمُهَا مِصْرُ لِلْعَالَمِ رَمْزًا لِلسَلامِ وَالتَّعَاوُنِ بَيْنَ الْبَشَرِ.

كُلُّ إِنْجَازٍ أَصْلُهُ فِكَرَةٌ. أَعْمَالٌ مُهِمَّةٌ يَعْتَبِرُهَا النَّاسُ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا مِثْلَ سُورِ الصين الْعَظِيمِ، وَتَاجِ مَحَلٍّ فِي الْهِنْدِ، وَبُرْجِ بَيْزَا الْمَائِلَ فِي إيطاليا، وَبُرْجِ إيفل فِي فَرَنْسَا وَغَيْرِهَا، كُلُّهَا بَدَأَتْ بِفِكْرَةٍ. كَثِيرٌ مِنَ الشَّرِكَاتِ الْعَالَمِيَّةِ فِي الْبِنَاءِ وَالسَّيَّارَاتِ والكومبيوتر بَدَأَتْ مِنْ نُقْطَةِ الصِّفْرِ، بَدَأَتْ صَغِيرَةً ثُمَّ كَبُرَتْ.

بَدَأَتْ كُلُّهَا مِنَ الْبَذْرَةِ، الْفِكَرَةُ، ثُمَّ الْحُلْمُ الْكَبِيرُ لِيَتَحَقَّقَ. قَامَ صَاحِبُ هَذِهِ الْفِكْرَةِ بِالْبَحْثِ، وَالْإِعْدَادِ الْجِيدِ لِلتَّنْفِيذِ، مَعَ فَرِيقٍ مُتَمَيِّزٍ، وَمُحِبٍّ لِلْعَمَلِ الْمُتْقَنِ، وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ النّجَاحَ.

قَالَ آدَمُ: وَأَنَا يَا رُوبُو لَدَيَّ فِكْرَةً.

قَالَ رُوبُو: وَمَا هِيَ يَا آدَمُ؟

قَالَ آدَمُ: أُرِيدُ أَنْ أُرْسِلَ رِسَالَةً لِسُكَّانِ الْمَجَرَّاتِ الأُخْرَى " رِسَالَةٌ كُلُّهَا سَلامٌ وَمَحَبَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، إِلَيْكُمْ يَا جِيرَانِنَا فِي كَوْنِ اللهِ الْبَدِيعِ، نُرِيدُ أَنْ نَزْرَعَ عِنْدَكُمْ شَجَرَةً. آدَمُ مَنْ كَوْكَبِ الْأَرْضِ، مَجَرَّةُ دَرْبِ التَّبَّانَةِ."

قَالَ رُوبُو: وَلَكِنْ هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَفْهَمُونَ لُغَتَنَا؟

قَالَ آدَمُ: نَعَمْ يَفْهَمُونَهَا لِأَنَّ لُغَةَ الْحُبِّ يَفْهَمُهَا أَيَّ مَخْلُوقٍ فِي الْكَوْنِ.

يَقُولُ رُوبُو: حَقًّا يَا آدَمُ الْفِكْرَةُ جَوْهَرَةٌ...رَائِعٌ، عَلَيْكَ أَنْ تَلْتَقِطَهَا.